

بوتها الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

# الْحَمْدُ لِلَّهِ

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبهون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر - الأمانة المحرم سنة ١٣٢٣ - ٧ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

﴿ فاتحة السنة الثامنة ﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ،  
إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح برفقه والذين يمكرون السيئات  
لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، والصلاة والسلام على روح  
الإصلاح وإمام المصلحين ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، « لينذر من  
كان حيا ويحقق القول على الكافرين » ، « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله  
وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه  
وأنه إليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصين الدين ظلموا منكم خاصة واعلموا  
أن الله شديد العقاب ، واذكروا إذا تم قليل مستخفون في الأرض

تخافون أن يخطبكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات  
لعلكم تشكرون »

تلك آيات من الكتاب المبين ، يذكر بها المنار قراءه على رأس ثمان  
سنين ، ليتذكروا أن في الكون ظلمة ونورا ، وكلما تخيبتنا وكلما ماثوروا ،  
وعملا سيئا وعملا مبرورا ، وأن للأمم حياة وموتاً ، وأن في الناس مكرا  
وفتناً ، وأن للحياة دعوة يخاطب بها الأحياء ، وأن لها فتنة من قبل الكبراء  
والرؤساء ، وإن العاقبة للمتقين ، وإن كانوا مستضعفين ، « أو من كان  
ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا عشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس  
بمخرج منها ؛ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » وكذلك جعلنا في كل  
قرية أكار مجرميها ليمكروا فيها وما يكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون »

ليتذكروا أن من يدعو إلى الحياة فهو يدعو إلى الاستقلال والمساواة ،  
ومن يدعو إلى الحق فهو مقاوم للباطل ، وإن أنفض الأشياء إلى الرؤساء  
المستبددين استقلال الفكر ، والتساوي بين الناس في الحقوق ، وأنفض  
الناس إلى الكبراء المترفين من يدعو إلى نصرة الحق ومقاومة الباطل ،  
وإلى جعل التفاضل بين الناس بالأعمال والفضائل ، فالسادات المالوف  
والكبراء المستكبرون ، أعداء المصلحين في كل زمان ، وخصماء الحق والفضيلة  
في كل مكان ، غرورا بالقوة وطنيانا بانفي و « استكبارا في الأرض ومكر  
السي » ولا يحمق المكر السي إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن  
نجد لسنة الله تبديلا ، ولن نجد لسنة الله تحويلا . أولم يسيرا في الأرض  
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله  
ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليا قديرا ،

ليذكروا بهذه الآيات كلها أن الله تعالى بين للناس أن له سفناً في حياة الأئمة وموتها لا يعلمها بالتفصيل من الرجوع إلى التاريخ الذي يبين مصداق آياته في الغابرين، ومن السير في الأرض لمعرفة تأويلها في الأولين والآخرين، وقد نطقت سير البشر بتصديق قوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وأنه ما وقع تفسير الأبدعوة وأن دعاءة الخير والاصلاح في كل أمة كانوا عمقوتين من أصحاب السلطة، ومضطهدين من رؤساء الأمة اولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام ابي حنيفة حتى مات في السجن ، وجلدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة ، واضطروا الامام الشافعي الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ، ووطئوا الامام أحمد بالتمال ، وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى ، حتى تم لهم بطول الزمان إفساد الدين والدينا ، « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، واذا تذكروا أن انتقال الامم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ، ولا يأتي باختيار الأسماء والسلاطين ، وانما يكون بتشير أفراد الأمة ما بأنفسهم من الافكار والمقائد والاخلاق والسجايا - وتذكروا أن المسلمين غيروا ما كان بأنفسهم في أول نشأتهم بالتدرج فغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة، وسيادة العدل والفضيلة، ولن يغير ما هم الآن فيه ، الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه، وشرطه قلع جرائم التقليد، واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب، وإسائه جمع كلمة الأمة، وتحقيق معنى الوحدة ، - فأنا أدعوهم الى الاصلاح الديني قبل كل شيء - لانه يتوقف عليه كل شيء فانه لا يصلح آخر هذه الأمة الا ما صلح به اولها كما قال الامام مالك بن

أنس رحمه الله تعالى ، صلح أول هذه الأمة بهدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهداهم ذلك الى ككل إصلاح صوري ومضموي « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون »

أدعوهم الى هذا الإصلاح بهذه المجلة وأدعوهم الى الدعوة إليها والى ما تدعو اليه ما أصابت ، والى بيان خطأها فيها اذا رأوها أخطأت أدعوهم الى قطع الآمال من السياسة والسياسيين ، والى ترك القرور بالرزاء والحاكين ، وعدم السماع لا تباعهم ، والانخداع لانصارهم وأشباعهم ، فلا يصرفوكم عن الجهد بإصلاح النفس ، الى البذل بإرضاء الحس ، فانهم طلاب مال وجاه ، طلاب رتبة ووسام ، أصحاب أوهام ، وشقة السنة واقلام ، « ولو نشاء لا ريناكم بل نعرفهم بسيماهم » ولتعرفهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم »

أدعوهم الى الدعوة ممي الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين ، في بلاد أبيع فيها القول للقائلين ، وسهل فيها النشر على الكتابين ، وأطلقت فيها حرية العلم والدين ، فصرح فيها الملحد بإخاده ، وجاهر فيها الفاسق بنفسه ، ودعا فيها الكافر الى كفره ، ونشرت فيها الكتب والجرائد تنطق في القرآن ، وتنشع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة إسلامية تود شهادت الطامنين ، وتؤيد المقائد بالحجج والبراهين ، وتبين حكم الاحكام ، وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومكان ، وتأمر بالعرف والبر ، وتنبه عن البدعة والتكر ، حتى اذا أنشئ « المنار » وقام بهذه الفرائض نعم منه بعض المسلمين في بلاد الحرية ، والنقم بمضهم من عشيرته في بلاد العبودية ، نعم منه المتجرون بالدين ، ومقلدة المتدعيين و « الذين يخاطبون الدين

بغيره ، ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهل ، (\*) هاج عليه أهل المذاهب المتعصبون ، لأنه يقول ان الوهابية السلفية والأشعرية والماتريدية والشيعية والاباضية كلهم مسلمون ، وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيهم فيه يختلفون ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»

دعوت إلى هذا منذ بضع سنين ، وسأدعو إليه ان شاء الله حتى يأتي اليقين ، وقد عارض الدعوة قوم أكثرهم معذور بالجهل ، ثم استهدفت بهم

(\*) هذه العبارة لجريدة المؤيد من تقر يظها المنار وقد رأينا أن تنشر ذلك التقرير هنا لانه في معنى هذه الفاتحة وقد نشر في العدد ٣٦٣٧١ من المؤيد الاغر الصادر في ١٩ المحرم سنة ١٣٢٠ ونصه : « صدر العدد الأول للسنة الخامسة من مجلة « المنار » الغراء وهي المجلة العلمية الدينية التهذيبية الاسلامية الوحيدة في القطر المصري لحضرة صاحبها . . . . . السيد محمد رشيد رضا الطرابلسي » وقد قضى حضوره أربع سنوات يصدر هذه المجلة مثابرا على الخدمة المليية الصحيحة ، محاربا البدع المضللة ، بالحكم المدللة ، والهوى بالعقل ، والاوهام الفاشيات على الأفهام ، بالآيات الينيات من الكلام ، بعمل الاصلاح الديني جهدا مستطيع ، وهو والحق يقال مستطيع فيما يجهد به نفسه ، يبارز المتبدعين غير هباب ، ويصمد في إيمانه طالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه صرا على اذواق الذين يخلطون الدين بغيره ، ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهل ، يشدد كلما اعتقد الحق في جانبه وفي اعتقادنا انه لو كان أخف اسلوبا في الوطأة ، وأبني جانبا في المقال ، من حيث لا يجيد يئنة أو يسرة عن خطته الحالية ولا يضيع شيئا من غرضه الذي يسمي اليه لكان « المنار » اضعاف ما هو اليوم انتشارا واكثر فائدة ، واعم طائفة ، وكل مسلم يشعر بحاجة الاصلاح الديني للأمة المحمدية يتمنى من صميم فؤاده أن يكون لكل قطر من الاقطار الاسلامية منار مثل هذا « المنار » ، له من الانتشار اضعاف ما لهذا من الظهور والانتشار ، وفق الله صاحبه الفاضل دائما إلى طريق السداد ، وأنجح عمله دائما بالتوفيق والرشاد ، آمين ، اه

التكبر والانتشار لتضال قوم أضلهم الله على علم ، يخذلون الحق لأنهم على باطل ، وينفرون من الهداية لأنهم على ضلالة ، وانك لتراهم من وراء الجدار ، وتستشفهم من خال السجوف والاستار ، يكيدون ويأثرون ، ويوسوسون ويهمسون ، ويستفتون ويفتون ، « والله يعلم ما يسرون وما يعلنون » على أنهم هم الذين يفتشون أسرارهم ، ويكشفون عوارهم ، فهم كمن نزل فيهم « لا يقاتلونكم جميعا الا في فري محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم » - استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون »

لماذا لا يمارضون المترضين على دينهم ؟ لماذا لا يناهضون الطاغين في كتابهم ؟ لماذا لا يمدون المادين على حقيقتهم ؟ لماذا لا يخرجون اثار جين على أمتهم ؟ لماذا لا يفتنون القانتين لمامتهم ؟ لماذا لا يهاجون المهجمين على خاصتهم ؟ لماذا خفت عليهم دعوة كل ملة ؟ وثقلت عليهم الدعوة الى الكتاب والسنة ؟ ماذا الا ان قوة الحق ترهب المبطلين ، ونور الرشاد يمشي ابصار الغاوين ، وأما الباطل فانه يمد يده بفضا وان اختلف الوانه ، وتسميت أفعاله ، المناقون والمنافقات بعضهم من بعض يأثرون بالنكرو وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فتسيهم ان المنافقين هم الفاسقون »

انما يفر هؤلاء وأمثالهم تلك الكلمة المشهورة « القوة تظلب الحق » وهي كلمة لا تصدق على الإطلاق ، وليس هذا موضع بيان ما فيها من الاجال ، وإنما نقول ليست القوة محصورة في المال والجاه ، ولا في السلطة والحكم ، ولا بكثرة الاعوان والانصار فان في العالم قوى حسية وقوى منوية ، كقوة

الاعتقاد وقوة الشعور وقوة العلم وقوة الاتحاد وقوة العدل وقوة الفضيلة وقوة الحاجة وقوة الحق . فكم من ملك كبير ، يتضائل امام صعلوك فقير ، لانه يشعر بضئف الرذيلة امام الفضيلة وبذل الباطل تجاه الحق ، وهذا يقصر روسيا الملك المستبد القاهر قد أصبح كالمسجون في قصره على ماله من السلطة السياسية والدينية ، وقد مرق عمه كل مرق ثم مزقت صورته هو إشارة الى نية الايقاع به ، أنسوا التاريخ وما فيه من السير ، التي هي منابع العبر ، كلا إن الباطل لا يقف أمام الحق اذا وجد الحق ناصرا وصادف الناصر حرية « بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

ان للحقائق رجالا كما ان للاوهام رجالا ، ان للدين أنصارا كما ان للدنيا أنصارا ، إن الدين من حاجات البشر الطبيعية ، وقوة من أعظم قواهم المنوية ، ان الضميف في الدين لا يستطيع الزعامة فيه ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ان الأحرار يميلون للشيء بقدر احساسهم بالحاجة اليه ، وعلى حسب اعتقادهم بالفائدة منه ، ان الاعتقاد في الامة قوة لا تقاب ، والاحساس الوجداني فيها ثروة لا تنفذ ، ان لوم الحسين مدعاة الاغراء ، ومقاومة المعتقدين داعية التمكّن والثبات ، ان المخلص في عمله يفيد ظهور خطاه كما يفيد ظهور صوابه ، لان كلامهما يزيد يقينا فيما يرتب فيه عنه ، ان الله تعالى وعد بنصر من ينصر الدين ، وجعل المأبئة للمتقين ، « وينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز - الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور »

يقولون إن الاحساس بالحاجة الى الاصلاح الديني ضعيف ، وإن عدد المعتقدين بوجوب اتباع السلف قليل ، وان الدعوة هنا الى الرابطة

الملية ، معارضة بالدعوة الى الوطنية ، : ونقول ان كل إصلاح في الكون بدأ بضعف وانتهى بقوة زلزلت جميع المارضيين و« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» وما بانوا به أحداث العصر ، من وجوب مقاومة من يهاجر الى مصر ، فهو مخالف لسنة الكون في الامم الحية وتعموز نجاحه القدرة على جميع العناصر الاجنبية ، وأما دعوتنا هذه الاسلامية ، فهي هي التي تأتي بالنهضة الوطنية ، لانها تهدم التقاليد التي فرقت بين الناس ، وألقت العداوة والبغضاء بين أهل المال والمذاهب والاجناس ، فكما تذكر المسلمين بقوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » تذكرهم أيضا بقوله في المخالفين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

وجملة القول ان دعوتنا هذه دعوة عامة معروضة في صحيفتنا كما يعرض غيرها من الدعوات السياسية والأدبية وفي اعتقادنا أنها خير دعوة أقيمت للناس وإن من أسسها البعد عن مشاركات الخلاف والشقاق ، ونشهد الله تعالى أنه ليس في قلبنا حرج على أحد من الناس وقد صنفنا عن ظلمنا ، وعفونا عن اعتدي علينا « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » وانا نحمد الله ونشكره أن أعطانا فوق ما كنا نرجو ، ثم نشكر أصحاب القلوب الطاهرة والأفكار النيرة الذين تنشر بهم الدعوة وتنمو ، « نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

منقح النار ومحرره  
محمد رشيد رضا